

أميركا اللاتينية تحت المجهر بين النجاحات والتحديات

إعداد وترجمة: ليلى زيدان عبد الخالق

لا شك أنّ الولايات المتحدة الأميركية، ومن ورائها بعض أوروبا، تسعى إلى حفظ ماء وجهها بعدما حل بها من نكسات، خصوصا بعد خسارتها لرئاسة العالم، لمصلحة نكتل من الدول التي ترفض أحادية القطب في العالم، لا سيما روسيا بعد صحتها، وإيران الفارضة نفسها قوّة عالمية، والصين - العملاق القادم من أقاصي الشرق - وليس نهاية بدول أميركا اللاتينية. وفي محاولات منها لكسب المعارك التي تفتعلها، تحارب واشنطن بغيرها. وما يجري في الشرق الأوسط منذ أكثر من عشر سنوات خير دليل. وكذلك أفعالها الأوكرائية بين أوروبا وروسيا. وأيضا، تضي الصحافة الإسبانية يوميا، بأنها ليست إلا وسائل إعلام أميركية ناطقة باللغة الإسبانية. إذ إنها تولت ملف دول أميركا اللاتينية، لا سيما فنزويلا، فطالعتنا بشكل شبه يومي بتقارير من شأنها تاليب الرأي العام الأميركي اللاتيني والعالمي على هذه الدول.

تقريرنا التالي منسقم إلى جزئين: الأول عبارة عن مقال مطول كتبه كل من كتب رافاييل مورغانتينى وطارق بوفيه في «INVESTIG'ACTION». وفيه يتحدث الكاتبان عن الاقتصاد وسياسات التقشف، وتأثير ذلك على دول أميركا اللاتينية. كما يتحدثان عن العلاقة غير الودية بين هذه الدول وبعض الدول الأوروبية لا سيما إسبانيا.

أما الجزء الثاني، فعبارة عن مختارات من الصحف الإسبانية، التي تهاجم على الدوام أنظمة دول أميركا اللاتينية. ولو قيّص للصحافة الأميركية أن تهاجم هي فنزويلا على سبيل المثال، لما «استبسلت»، كما تفعل الصحف الإسبانية.



وتقول الحكومة الاشتراكية في فنزويلا، إن خصومها السياسيين في الداخل ورجال الأعمال المتخالفين مع المعارضة يعملون عمدا على تخريب اقتصاد البلد العضو

في منظمة «أوبك» من خلال تخزين السلع ورفع الأسعار والتهرب وأساليب أخرى. لكن منتقديهم يقولون إن 16 سنة من السياسات الاشتراكية المتشددة بما في ذلك القيود على الأسعار والعملية إضافة إلى معاداة القطاع الخاص، هي العوامل المسؤولة عن مشاكل فنزويلا الاقتصادية.

وتفاقم الوضع مع هبوط أسعار النفط العالمية السنة الماضية، وتشكل عائدات صادرات النفط 96 في المئة من إيرادات فنزويلا من النقد الأجنبي.

وكتبت صحيفة «الليبيس»، أنّ الولايات المتحدة تجري تحقيقا حول الرجل الثاني في فنزويلا بتهمة الاتجار بالمخدرات، وأيضا مع مسؤولين آخرين كبار يشتهيه بأنهم حولوا بلدهم إلى مقر لتهرب الكوكايين وتبييض أموال المخدرات.

ونقلت الصحيفة عن متحدث باسم وزارة العدل الأميركية فضل (طبعا) عدم الكشف عن هويته قوله إن أدلة مهمة تبرز، بأن يكون رئيس الجمعية الوطنية ديوسادو كابيلو الذي يعتبر الرجل الثاني في البلاد، أحد الرؤوس إن لم يكن رأس الكارتل.

وأضافت الصحيفة أن «الوكالة الفيدرالية لتتبع المخدرات وكذلك عدة مدعين فيدراليين في نيويورك وميامي يحققون في هذه الاتهامات التي وصلت من مخبرين ومهربين سابقين وفارين من الجيش الفنزويلي».

ولا يستهدف التحقيق الرئيس نيكولاس مادورو ولكن مسؤولا أميركيا تحدث عن منظمة إجرامية على أعلى المستويات في البلاد.

وكتبت «المونودو»، أنّ من يسمي نفسه «زعيم المعارضة الفنزويلية» ليوبولدو لوبيز، بدأ الاضراب عن الطعام في سجنه الموجود فيه منذ 15 شهرا، داعيا مؤيديه إلى الخروج في تظاهرات ضد الحكومة.

ووفقا للصحيفة الإسبانية، فإن لوبيز والمعارض الآخر دانييل كابايوس بدأ الاضراب عن الطعام في سجن «رامو فيردى» العسكري، وذلك في فيديو نشرته الناشطة في حقوق الإنسان ليليان تينوري على مواقع التواصل الاجتماعي، واتهم الحكومة بعجزها عن القيام بمهامها. وقال لوبيز: نحن ندافع عن حقوقنا، وحقوق عائلاتنا، ومستقبلنا، وحاضر ملايين الفنزويليين.

ونقلت الصحيفة عن عقيلة لوبيز أن إدارة السجن فرضت عقوبة عليه عقب تسرب مقطع الفيديو من السجن ونشره في مواقع التواصل الاجتماعي، وقالت إنها تخشى على حالته الصحية من التدهور.

وذكرت الصحيفة تقريرا بإدعاء أنّ 43 شخصا لقوا مصرعهم في احتجاجات نظمها المعارضة الفنزويلية ضد الحكومة.

لا مفر منها، تهدد استمرارية الثورة؛ وتسمح من ناحية أخرى، تصور كيفية الانتقال إلى مراحل متقدمة».

ستكون هذه التناقضات أكثر وضوحا في بعض بلدان أميركا اللاتينية التي تدخل القرن الحادي والعشرين متميزة ببعض الخصائص. بوليفيا، الإكوادور، وفنزويلا، على سبيل المثال، ستكون على الأرجح من بين الدول التي دمرتها السياسة النيوليبرالية الغربية الاستعمارية، البنك الدولي وصندوق النقد الدولي «IMF»، بالاتفاق والتنسيق مع القوى الغربية. لم ينجح أيّ تسريح صناعي بالبقاء على قيد الحياة، حُرّم الناس من أبسط حقوقهم، مغلّبات الفقر أصبحت كارثية ومأسوية. فبوليفيا - بعد هابيتي - من أكثر الدول فقرا في المنقلب الغربي من الكرة الأرضية...

تعني هذه الحقيقة أنه عند دخول دول أميركا اللاتينية في العقد الأخير، وجد رؤسائهم التقدميون أنفسهم في حالة من الاعتماد على الأسواق الدولية، وعلى لعبة «التجارة الدولية» في المواد الخام. وللخروج من برائش هذه اللعبة، قد تتعرض هذه الدول إلى عدم القدرة على تمويل سياساتها الاجتماعية ودعم الإنفاق بشكل عام.

ونتيجة لذلك، وعلى المدى القصير، فإن الحفاظ على الروابط في البلدان التقدمية مع النظام الرأسمالي العالمي، لهو حاجة ضرورية للبقاء على قيد الحياة. إن عملية التكامل في أميركا اللاتينية والطريق إلى الاشتراكية في القرن الحادي

والعشرين، عبارة عن مسار طويل وشاق، سيتغير بعدد من العوائق والتناقضات الحتمية. وبالنظر إلى هذه الصعوبات، المصحوبة بوطأة الهيمنة الآلة الإمبريالية العالمية، نحن أمام مسؤولية مراقبة الحركة ودعمها من أجل التحرر من النظام القديم. إننا مسؤولون تتعلق بمستقبلنا جميعا، مستقبل جميع الناس على هذه المعمورة الذين يكافحون من أجل الحرية والسلام والعدالة الاجتماعية.

مقتطفات من الصحافة الإسبانية

وفي ما يلي، مختارات من الصحف الإسبانية، التي تهاجم على الدوام أنظمة دول أميركا اللاتينية.

صحيفة «إي بي سي»، نشرت تقريرا الشهر الماضي جاء فيه أنّ خبراء في لجنة من الأمم المتحدة للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية حذروا من قلة المواد الغذائية والطبية الأساسية في فنزويلا، وزيادة نسبة الفقر في البلاد. وأشارت الصحيفة إلى أنّ فنزويلا تعاني من وضع صحي سيئ للغاية، إذ إن هناك نقصا واضحا في الموظفين والأدوية، كما تعاني أيضا من نقص في المواد الغذائية، كما أنّ فنزويلا أصبحت تستورد 70 في المئة من المنتجات التي تستهلكها.

وأوضحت الصحيفة أنّ الرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو قال إن الناتج المحلي الإجمالي انكمش بنسبة 3 في المئة في 2014، ملقيا باللوم على خصومه السياسيين في أسوأ أداء اقتصادي في أميركا اللاتينية، وقال «مع الحرب الاقتصادية هم جعلوا الاقتصاد ينقص 3 في المئة العام الماضي».

في فنزويلا، ساعدت الثورة البوليفارية على خلق أشكال تنظيمية جديدة داخل الشركات والبلديات الاشتراكية ذات الحكم الذاتي. إضافة إلى ذلك، فإن كل هذه البلدان (باستثناء كوبا وفنزويلا بنسبة أقل)، لا تزال الشركات متعددة الجنسيات تفرّض قوانينها في ما يتعلق باستخراج الموارد الطبيعية والنفط ومنتجات التعدين والنفط والغاز. في الإكوادور، لا تزال شركة شيفرون (شركة أميركية متعددة الجنسيات) تؤثر في سياسات التعدين والنفط والغاز الأمازوني. في بوليفيا، وعلى رغم موجة التأميم الكبرى في مجال التعدين والنفط والغاز التي بدأتها حكومة موراليس عام 2006، لا تزال البلاد تخضع لسيطرة الأوليغارشية البيضاء العنصرية، وتحاول - كعادتها - لتوئيد النظم الاقتصادية وتستعبد السكان المحليين. وإلى الشرق من البلاد التي تخضع أيضا لسيطرة الأوليغارشية البيضاء، يملئ موشانتو قوانينه في مزارع الصويا الواسعة. وغني عن النقاش، أحوال البرازيل والأرجنتين. إذ إن تجربتهما في مجال التغيير الهيكلي أعرق بكثير من ذلك.

التحقيق؟ الطريق نحو تطوير نموذج جديد يُحتذى في التنمية الاستراتيجية.

هذه ثورة لا يمكن الاستهانة بها. وبغض النظر عما كتبه ماركس حول العلاقة بين الرأسمالية ودمار الأمم، فإن بعض الخبراء الاجتماعيين لم يشددوا - لأسباب تاريخية واستراتيجية - على الحاجة الأساسية للطبيعة في صميم التنمية السياسية. ولهذا، فإن النموذج المهيمن بقي يركز على الإنسانية بدلا من تلك الطبيعية. ويمكننا ملاحظة التقدم الأبرز في هذا الاتجاه في تجارب كل من بوليفيا والإكوادور، إذ إن إدخال حقوق الطبيعة في تفاصيل الدستور الوطني يُعد تجربة رائدة وفريدة في حد ذاتها. ومع ذلك، وبسبب اعتمادها على الاقتصاد الخارجي، فإن هذه التطورات وتلك الخطب بقيت حبرا على ورق. لكن على الأقل جرى البحث بها والنظر فيها. يجب أن تترجم تلك الكلمات والقوانين إلى سياسات ملموسة وفعالة لتحقيق عملية التغيير. بما في ذلك التحرر من النظام الرأسمالي، التكامل اقتصاديا داخل الكتلة التقدمية في أميركا اللاتينية، وخلق مؤسسات وطنية لاتينية في القطاعات الرئيسية للاقتصاد وتنفيذ استراتيجية اقتصادية وطنية تقوم على مبدأ التنوع الاقتصادي.

ما بعد الليبرالية الجديدة

لكن ليس كل ما يلمع ذهبًا. فالسلسلة الهرمية وهياكل السلطة الموروثة من حقبات تاريخية سابقة (استعمارية وليبرالية) لا تزال حيث هي. ووفقا للخبير السوسولوجي البلجيكي فرانسوا هوتارت، فإن التقدم في أميركا اللاتينية تطور ما بعد الليبرالية الجديدة لا الرأسمالية. وبالنسبة إليه، فإن طابع ما بعد الليبرالية الجديدة ممكن التحقق في إعادة بناء الدولة، واستعادة لعب الأدوار الخالية من أي رقابة أو هيمنة من الرأسمال المالي الدولي: البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي. ولا يمكننا في الوقت الحالي أن نتحدث فقط عن هذا باعتباره تحولا ما بعد رأسمالي. فقول أميركا اللاتينية، باستثناء كوبا - تحتفظ باقتصاداتها على رغم القوى العاملة، وذلك على عكس الأوضاع في الدول الليبرالية الجديدة، إذ تحسنت سياسات إعادة توزيع الظروف المعيشية للعمال.

ففي فنزويلا، ساعدت الثورة البوليفارية على خلق أشكال تنظيمية جديدة داخل الشركات والبلديات الاشتراكية ذات الحكم الذاتي. إضافة إلى ذلك، فإن كل هذه البلدان (باستثناء كوبا وفنزويلا بنسبة أقل)، لا تزال الشركات متعددة الجنسيات تفرّض قوانينها في ما يتعلق باستخراج الموارد الطبيعية والنفط ومنتجات التعدين والنفط والغاز. في الإكوادور، لا تزال شركة شيفرون (شركة أميركية متعددة الجنسيات) تؤثر في سياسات التعدين والنفط والغاز الأمازوني. في بوليفيا، وعلى رغم موجة التأميم الكبرى في مجال التعدين والنفط والغاز التي بدأتها حكومة موراليس عام 2006، لا تزال البلاد تخضع لسيطرة الأوليغارشية البيضاء العنصرية، وتحاول - كعادتها - لتوئيد النظم الاقتصادية وتستعبد السكان المحليين. وإلى الشرق من البلاد التي تخضع أيضا لسيطرة الأوليغارشية البيضاء، يملئ موشانتو قوانينه في مزارع الصويا الواسعة. وغني عن النقاش، أحوال البرازيل والأرجنتين. إذ إن تجربتهما في مجال التغيير الهيكلي أعرق بكثير من ذلك.

أصول هذه المتناقضات وطبيعتها

غالبًا ما يُسأل، أنه على رغم خطابات السياسيين الفاعلة في تلك الدول، هل من الممكن لهذا المسار أن يلقى الفشل؟ قد يُساء فهم هذا السؤال. لن يفشل هذا المسار - لأنه - طبيعته. يتطور تدريجيا. وهذا سيقود حتما إلى تناقضات حتمية. «التوتر الخلاق داخل الثورة»، كما يسميها نائب الرئيس البوليفي السابق ألفارو غارسيا لينبرا. «هناك توترات رئيسية

أصول هذه المتناقضات وطبيعتها

غالبًا ما يُسأل، أنه على رغم خطابات السياسيين الفاعلة في تلك الدول، هل من الممكن لهذا المسار أن يلقى الفشل؟ قد يُساء فهم هذا السؤال. لن يفشل هذا المسار - لأنه - طبيعته. يتطور تدريجيا. وهذا سيقود حتما إلى تناقضات حتمية. «التوتر الخلاق داخل الثورة»، كما يسميها نائب الرئيس البوليفي السابق ألفارو غارسيا لينبرا. «هناك توترات رئيسية

أصول هذه المتناقضات وطبيعتها

غالبًا ما يُسأل، أنه على رغم خطابات السياسيين الفاعلة في تلك الدول، هل من الممكن لهذا المسار أن يلقى الفشل؟ قد يُساء فهم هذا السؤال. لن يفشل هذا المسار - لأنه - طبيعته. يتطور تدريجيا. وهذا سيقود حتما إلى تناقضات حتمية. «التوتر الخلاق داخل الثورة»، كما يسميها نائب الرئيس البوليفي السابق ألفارو غارسيا لينبرا. «هناك توترات رئيسية

أصول هذه المتناقضات وطبيعتها

غالبًا ما يُسأل، أنه على رغم خطابات السياسيين الفاعلة في تلك الدول، هل من الممكن لهذا المسار أن يلقى الفشل؟ قد يُساء فهم هذا السؤال. لن يفشل هذا المسار - لأنه - طبيعته. يتطور تدريجيا. وهذا سيقود حتما إلى تناقضات حتمية. «التوتر الخلاق داخل الثورة»، كما يسميها نائب الرئيس البوليفي السابق ألفارو غارسيا لينبرا. «هناك توترات رئيسية

أصول هذه المتناقضات وطبيعتها

غالبًا ما يُسأل، أنه على رغم خطابات السياسيين الفاعلة في تلك الدول، هل من الممكن لهذا المسار أن يلقى الفشل؟ قد يُساء فهم هذا السؤال. لن يفشل هذا المسار - لأنه - طبيعته. يتطور تدريجيا. وهذا سيقود حتما إلى تناقضات حتمية. «التوتر الخلاق داخل الثورة»، كما يسميها نائب الرئيس البوليفي السابق ألفارو غارسيا لينبرا. «هناك توترات رئيسية

حصلت في أميركا اللاتينية لم تشكل نموذجا يُحتذى به عبر الأطلسي. وعلى رغم أنّ اليسار الأوروبي يبجل التغييرات اللاتينية. غير أنّ الأحزاب الرئيسية في الحكومات الأوروبية، وكذلك الوسائل الإعلامية، انخرطت في حرب لا هوادة فيها ضد الرؤساء الغربيين في تلك القارة.

بدأ التمزّد هذا في فنزويلا، وتبعها الدول التي وقعت في وجه قوى الغرب الإمبريالية وشركائها متعددة الجنسيات، أصبحت هذه الدول أهدافا متكررة لوسائل الإعلام الأوروبية، مثل «لوموند» و«البيبراسيون» والفرنسيين، «الليبيس» و«لاوليكا»، الإسبانيين وغيرها. ومن المعروف أنّ كل هذا الوسائل الإعلامية يسيطر عليها رجال أعمال وأقربو الغنى، حاولوا المستحيل لتقويض التجربة الأميركية والتعظيم عليها.

نظرية الدومينو

سقطت أخلاقيات مهنة الصحافة في مقابل القبح والذم والكتب والتشهير والرسوم الكاريكاتورية الحفيرة. كزست وسائل الإعلام الأوروبية نفسها محترقة في مجال إطلاق الإشاعات وإعطاء صورة سلبية عن رؤساء مثل تشايفز، موراليس، كوريا وغيرهم. وبما فيها واشنطن، للقضاء على النجاحات الاقتصادية والاجتماعية التي حققتها تلك البلدان، مصنّفين رؤساءها على أنهم «طغاة» أو «شعوبيون». كما دعمت القوى الإمبريالية - في الوقت عينه - المعارضة الفاشستية، أولا في وجه الرئيس الراحل تشايفز، ثم خلفه نيكولاس مادورو.

الامر نفسه يحدث مع دول أخرى، بدعم مالي من أميركا الشمالية للأوليغارشية البوليفية والإكوادورية على سبيل المثال. نحن نذكر الآن جدبا الدور الرئيس الذي تلعبه الحكومات الغربية، بما فيها واشنطن، للقضاء على الموجة الاشتراكية التي تتجاذق قارة البوليفار. لم يهاجمون الدول الديمقراطية والمستقلة؛ لم تكذب وسائل إعلامهم باستمرار؛ إن عدم الثقة التي تبديها الأمم الغربية حيال ما يحدث في أميركا اللاتينية، إنما يعود إلى خوفهم من أن تثير ثورات العالم اللاتيني عدوى إقليمية ودولية. ما هم إذا، أسدا العالم الاقتصادي يرتجفون خوفا من احتمال موجة «نظرية الدومينو»، ومما لا شك فيه أنّ تغييرا من هذا النوع لا يزال بعيد التحقيق، غير أنّ مجلدات العنف التي تظهرها وسائل الإعلام والقوى الغربية في وجه أهم أميركا اللاتينية، تؤكد حجم الخطر الذي تشكله تجارب هذه الأمم على النظام الاقتصادي والجيوسياسي العالمي.

أصبحت الولايات المتحدة سيّدة العالم بعد اختفاء الاتحاد السوفياتي، واستطاعت ذلك الإفلات من كل أشكال العقاب والمحاسبة. ففرض النظام الاقتصادي الليبرالي الجديد، وأعلن عن «نهاية التاريخ». غير أنّ صورة شعوب أميركا اللاتينية شكلت صدمة في وجه هذا النظام العالمي الذي ظلّ أنه أصبح قويا ومصنفا ضد الثورات. فحاولت إيحاء نظم اقتصادية جديدة لتلغلب على الرأسمالية، وكذلك صعود القوى الناشئة في أميركا اللاتينية، فرضت نفسها من خلال أوضاع جديدة وإرادة جديدة في العالم.

أصبحت هذه القارة الآن مستقلة بقراراتها وشؤونها، وغير منقادة أو مستعبدة، أهله في بعض البلدان، التي رفضت الخضوع للإمبريالية والاستعمار الجديد المتفعل هذه المرة في الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. تصارع هذه القارة يوما بعد يوم للتأكيد على استقلالها الاقتصادي، «استقلالها الحقيقي والنهائي» كما قال تشايفز يوما.

أصول هذه المتناقضات وطبيعتها

غالبًا ما يُسأل، أنه على رغم خطابات السياسيين الفاعلة في تلك الدول، هل من الممكن لهذا المسار أن يلقى الفشل؟ قد يُساء فهم هذا السؤال. لن يفشل هذا المسار - لأنه - طبيعته. يتطور تدريجيا. وهذا سيقود حتما إلى تناقضات حتمية. «التوتر الخلاق داخل الثورة»، كما يسميها نائب الرئيس البوليفي السابق ألفارو غارسيا لينبرا. «هناك توترات رئيسية

أصول هذه المتناقضات وطبيعتها

غالبًا ما يُسأل، أنه على رغم خطابات السياسيين الفاعلة في تلك الدول، هل من الممكن لهذا المسار أن يلقى الفشل؟ قد يُساء فهم هذا السؤال. لن يفشل هذا المسار - لأنه - طبيعته. يتطور تدريجيا. وهذا سيقود حتما إلى تناقضات حتمية. «التوتر الخلاق داخل الثورة»، كما يسميها نائب الرئيس البوليفي السابق ألفارو غارسيا لينبرا. «هناك توترات رئيسية

أصول هذه المتناقضات وطبيعتها

غالبًا ما يُسأل، أنه على رغم خطابات السياسيين الفاعلة في تلك الدول، هل من الممكن لهذا المسار أن يلقى الفشل؟ قد يُساء فهم هذا السؤال. لن يفشل هذا المسار - لأنه - طبيعته. يتطور تدريجيا. وهذا سيقود حتما إلى تناقضات حتمية. «التوتر الخلاق داخل الثورة»، كما يسميها نائب الرئيس البوليفي السابق ألفارو غارسيا لينبرا. «هناك توترات رئيسية

أصول هذه المتناقضات وطبيعتها

كتب رافاييل مورغانتينى وطارق بوفيه بعدما شهدت أميركا اللاتينية عقودا مفقودة بين الفقر المدقع والبطالة والدين العام خلال الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، ها هي هذه القارة تعود إلى رفع رأسها لتصبح أهم تجربة اختبارية للسياسات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة. فقد تخلت بعض الدول مثل فنزويلا، بوليفيا، إكوادور، الأرجنتين، عن سياسة التقشف المفروضة في دول المنطقة من قبل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، لمصلحة سياسات التحفيز، إذ تلعب الدولة دورا رئيسيا في إدارة الاقتصاد.

الهجرة الجماعية

بينما استعادت دول أميركا اللاتينية كرامتها وسيادتها، نجد عكس ذلك تماما يدور في أوروبا: اليونان، البرتغال، إسبانيا، البرتغال، اليونان، التقشف لم يوفّر بلدا. فالنتائج الإجمالية المحلي GDP، «بشار»، ويزداد الفقر، البطالة، وانفجار الدين العام. تحركت سياسات التقشف المعادية للمجتمع الانتفاضات الشعبية التي هزّت هيبة القوى المهيمنة. تؤكد استطلاعات الرأي أنّ الأحزاب اليسارية ك«سيريزا» في اليونان، و«بوديموس» في إسبانيا (الذين يقولون أنهم يصدد اتباع التوجهات التي اتبعت في إكوادور أو الأرجنتين في شأن تحمل عبء الديون المتراكمة)، تنذر بروكسل والأسواق المالية.

وأضافة إلى ذلك، هناك عدد لا يحصى من الجمعيات، النقابات، الأحزاب السياسية ووسائل الإعلام البديلة في أوروبا، التي تهلّل لنجاح التجربة اللاتينية. إنها نشوة انتصار جديدة لليسان الأوروبي، والتي تتناقض مع وجهات النظر الرجعية، البشعة والمملّطة، والمصرّة على ضرورة عدم التغيير.

أبدى اللاتينيون إعجابهم بأوروبا في ما مضى. وتبقى أوروبا رائجة لغاية الآن. وهذا التوجه ناحية القارة القديمة يعود إلى عوامل عدة منها: الثقافة، التاريخ، الاقتصاد، فألبعض يتوقون إلى التعرف إلى مظهرهم الأم كإسبانيا والبرتغال، وأخرون، كالأرجنتيين، يرغبون في الذهاب إلى إيطاليا، أرض أجدادهم.

غير أنّ الأمور بدأت تسير ناحية عكسية في الآونة الأخيرة في ما يتعلق بالذهاب الاقتصادي نحو أوروبا. فبينما لا يزال بعض الأميركيين اللاتينيين يسعون نحو أوروبا بهدف الحصول على ظروف اجتماعية واقتصادية أفضل، فقد تحوّرت هذه الواقع في السنوات الأخيرة. فالتغيرات السياسية العديدة التي حدثت مؤخرا في عدد من دول القارة البوليفارية، أعطت من الهجرة الجماعية التي ميزت العقود الأخيرة من القرن الماضي، والسنوات الأولى من الألفية الثانية. فالسياسات الاقتصادية والاجتماعية التي انتهجتها بعض دول المنطقة من أجل تحقيق حياة أكرم وأفضل لشعوبها، دفعت بعدد من هؤلاء إلى البناء في ديارهم مفضلين عدم الهجرة. خصوصا أنّ الواقع انقلب اليوم، وأصبحت أوروبا هي التي تعاني من سياسات التقشف. فعدلات البطالة العالية في كل من إسبانيا والبرتغال لم تعد تجذب المهاجرين إليها. أوروبا التي مارست هيمنتها على شعوب الدول التي استعمرتها في ما مضى كما مارست إزدرائهم، تعاني الآن من المرض والعجز وعدم الإلهام. إن الوضع مأسوي لدرجة أنّ عددا من المواطنين اللاتينيين - كالأرجنتيين على سبيل المثال - ممن هاجروا إلى أوروبا منذ عشر سنوات يفكرون في العودة إلى بلادهم.

أوروبا تستنسخ الأخطاء

ينقلب التاريخ وينعكس رويدا رويدا. وبالتالي، فإن الدمار الذي سببته سياسات التقشف في أوروبا، اقتربت بنجاحات السياسات الاجتماعية المتبعة في فنزويلا، وبوليفيا والإكوادور، وكذلك في بعض الدول الناشئة اقتصاديا كالبرازيل التي مكّنت أميركا اللاتينية من لفت انتباه أولئك الأوروبيين الذين يقاثلون من أجل تحقيق نظام اقتصادي بديل وعالم متعدد الأقطاب وتعاطفهم. يلعب كل بلد فيه دوره بحرية ومساواة. وبالطبع، لا يحاول الأوروبيون نسخ أو محاكاة تجربة أميركا اللاتينية في دولهم، بل يستلهمون الأفكار ويتبعون بعض السياسات التي حققت نموا ملحوظا في تلك البلدان، وانخفاضا واضحا في معدلات الدين العام، وكذلك في معدلات الفقر فضلا عن القضاء التام على الأمية كما في فنزويلا وبوليفيا.

وفي محاضرة ألقاها الرئيس الإكوادوري رافاييل كوريا، باللغة الفرنسية في جامعة السوربون، أكد أنّ «أوروبا تستنسخ أخطاءنا»، في إشارة منه إلى أخطاء الحكومات النيوليبرالية في أميركا الجنوبية كحكومة كارولس نعيم في الأرجنتين، وكارولس أندريس بيريز في فنزويلا. فهذه الاتجاهات الثورية والتقدمية التي انتهجتها بعض الدول اللاتينية على مدى 15 سنة، أثبتت إزدرائها نظرية «نهاية التاريخ». فالشور التي تؤثر في أوروبا حاليا، هي نفسها التي بليت بها أميركا اللاتينية منذ ما يزيد على عشرين سنة. ومع ذلك، فإننا نتوجه بعميق الشكر والامتنان إلى الرؤساء الشجعان الذين قرروا وضع حدّ لتلك الحال وفعلوا الكثير لإحداث التغيير: استعادة سيادة الشعب، سياسات اقتصادية جديدة، رؤية جديدة في الديمقراطية والسياسة.

التغلب على الماضي ورمزيته الفاسدة والمستغلة، إلى حدّ وصف هذه القارة بأنها «قارة عنيفة تحكمها الدكتاتوريات»، والتي صنّفت - إلى جانب أفريقيا - على أنها القارة التي يعيش فيها الفقر. ومنذ ذلك الحين، أصبحت تجربة أميركا اللاتينية مثلا يُحتذى به، وعلى الغرب أن يستوحى من هذا بدلا من محاولة تقويض الاستقرار هناك تحت مسمى الآداة القديمة الحديثة: الإمبريالية.

أميركا اللاتينية، حطّ على الإيديولوجية السائدة. أقل ما يمكن أن يُقال في هذا المجال، أنّ التحولات التي

